شبكة السنة النبوية وعلومها
www.alssunnah.com

حديث الرهط الثلاثة

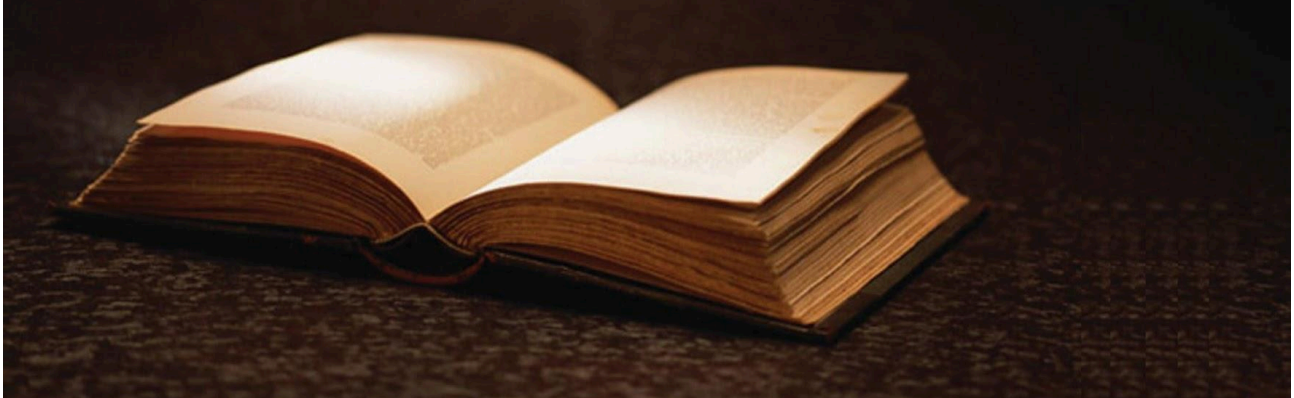

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير

حديث

الرَّهْط الثلاثَةِ

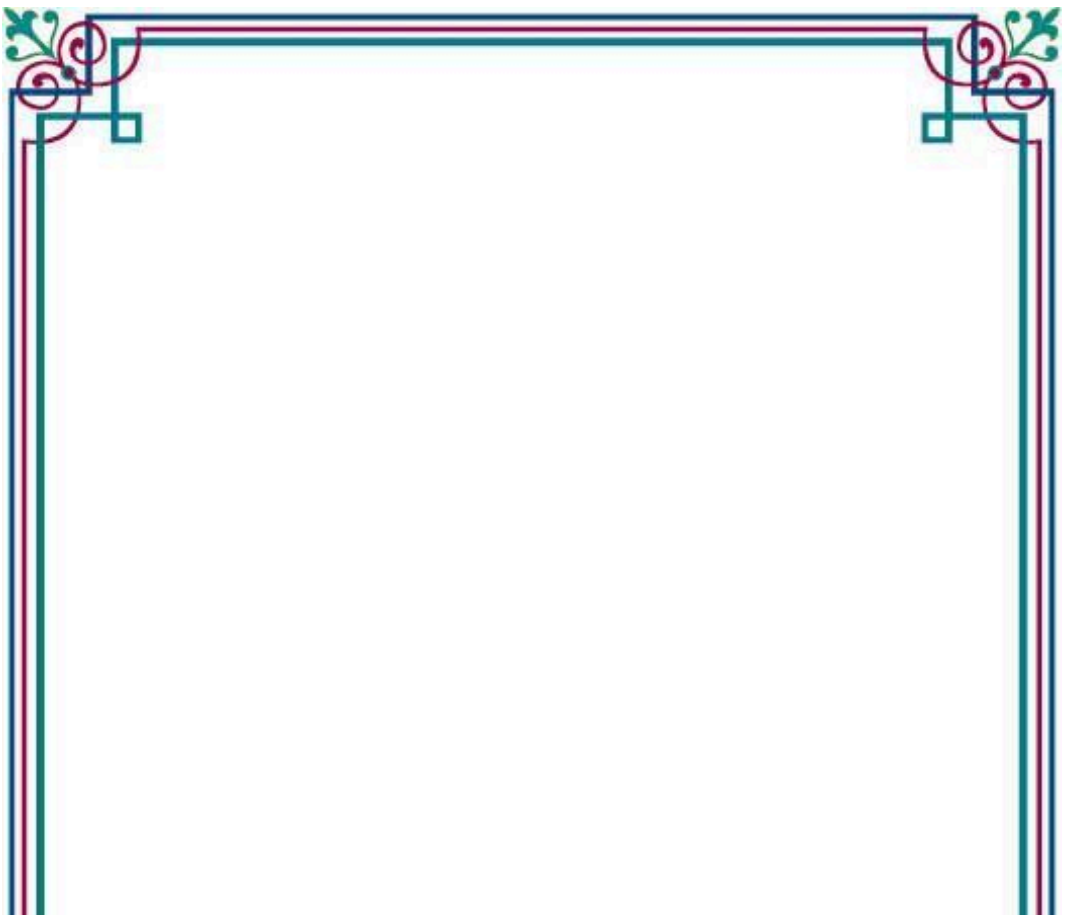

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على هادي الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه دراسة موجزة عن الأعمال الصالحة التي كلَّف الله بها عباده، ومدى أهميتها وفضلها في حياة المؤمن اليومية وأثرها عليه سلوكيًّا ونفسيًّا ودعويًّا، حيث تكون هذه الأعمال في معظم الأحيان مضادات وموانع تحمي الإنسان من شرور الشياطين وهمزاتهم في النفس، والعذاب الأليم في الجسد والبدن.

وفي هذه الدراسة بيان لضعف الإنسان عندما يصيبه ما يحزنه ويؤلمه، أو عندما تضيق به الدنيا ويشتد عليه الخناق، فلا ولي له ولا سلطانٍ على نفسه، فيجأر إلى ربه بصالح عمله علّه يجد فيه خلاصًا وملاذًا.

وفي هذه الدراسة المختصرة بيان لـمَعْلَم من أهم المعالِم في مسيرة المؤمن والداعية والعالم لنجاح مسيرته وحفظها من الآفات، وأمانة له من زلل الطريق وعثراته حتى يصل إلى مبتغاه وأهدافه، فهي دراسة حديثية دعوية نفسية تنطلق من حديث الرهط الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار فالتجؤوا إلى الله بها، ليتبين لنا تأثير هذه الأعمال وغيرها في تفريج الكروب وتيسير الصعاب وشفاء الأمراض ونجاح المسيرة.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها رصيدًا وذخرًا في الدنيا والآخرة، إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
أ. د. فالح

بن محمد بن فـالح الصغيّر
المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها

faleh@alssunnah.com

□◄◄ ►►□

نص الحديث

قال الإمام البخاري ::

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثني سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر م قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «انْطَلَقَ ثلاثةُ رَهْطٍ ممَّن كان قبلكم حتى أَوَوْا المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنْجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغْبِق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فَنَأى بي في طلب شيء يومًا فلم أُرِح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غَبُوقَهُما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثت والقَدَح على يديَّ أنتظر استيقاظهما حتى بَرَق الفجر، فاستيقظا فشربا غَبُوقَهُمَا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة؛ فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج. قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليَّ، فأردتها عن نفسها؛ فامتنعت مني، حتى ألـمَّت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تُخَلِّي بيني وبين نفسها؛ ففعلت، حتى إذا قَدَرْت عليها قالت: لا أُحِلُّ لك أن تفُضَّ الخَاتَم إلا بحقه، فتحرجت من الوقع عليها، فانْصَرَفْتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه؛ فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أُجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فَثَمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله! أَدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كُلُّ ما ترى من أَجْرِكَ من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فلم يترك منه شيئًا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء

وجهك فَافْرُجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

□◄◄ ►►□

[1] رواه البخاري (2272)، ص(362)، ومسلم برقم(2743)، ص(1188)، ورواه أحمد في مسنده، برقم(5973)، ص(459) .

تخريج الحديث

رواه البخاري في البيوع، باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي، (2215) وفي الإجارة، باب من استأجر أجيرًا فترك الأجيرُ أجره (2272)، وفي المزارعة، باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان في ذلك صلاح لهم (2333)، وفي أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (3465)، وفي الأدب، باب إجابة دعاء من بَرّ والديه (5974).

ومسلم في صحيحه، في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (2743).

وأبو داود في البيوع، باب في الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه (3387).

ورواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (5937).

□◀◀ ▶▶□

وقفة مع كلمات الحديث

الرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة.

أووا: من أوى، أويت منزلي وإلى منزلي: عدتُ.

الغار: النقب في الجبل.

انحدار: حَدَرَ الشيءَ يَحْدُرُه ويَحْدِرُه حَدْرًا وحُدُورًا فانْحَدَرَ: حَطَّهُ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ.

لا أغبق: الغبوق: شرب اللبن آخر النهار، قال ابن حجر :: وقوله في هذه الرواية: «لا أغبق» هو من الغبوق بالغين المعجمة والموحدة وآخره قاف: شرب العشي، وضبطوه بفتح الهمزة أغبق من الثلاثي، إلا الأصيلي فبضمها من الرباعي وخطئوه.

أهلًا ولا مالًا: المراد بالأهل: ما له من زوج وولد، وبالمال ما له من رقيق وخدم.

فنأى: أي: بعد.

برق الفجر: بفتح الراء: أي أضاء.

السنة: الجدب.

فض الخاتم: كناية عن الوطء.

الرقيق: العبد المملوك لسيده.

□◀◀ ▶▶□

الوقفة الأولى:

في أهمية الحديث

إن سطوة الهوى على النفس واستحكامه بالجوارح، تجعل الإنسان في حالة من الغفلة والنسيان عن خالقه وبارئه؛ فيتجبر ويتكبر، ويظلم ويبطش، وقد غشاه الشيطان من كل جانب، وزين له عمله فيحسب أنه يحسن صنعًا، ويبقى على حاله إلى أن يشاء الله، حتى يضعه ربه عز وجل على المحك الذي يظهر من خلاله ضعفه وقلة حيلته، وافتقاره إلى من هو أقوى منه؛ إلى العزيز الجبار.

والشعور بالضعف أمام الله تعالى والخوف منه فطرة في النفس، وهو عامل قوي لاستقامة الأعمال والأفعال، ولكن الإنسان يخفي هذه الحقيقة في نفسه وعن الناس من حوله، ويظهر بصورة كاذبة أنه قادر على تخطي الصعاب وتذليل المخاطر بنفسه دون الحاجة إلى قوة أخرى، وربه يقول له من فوق سبع سموات: (ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) [يونس: 107].

ثم يكشف الله تعالى حقيقته ويظهره على صورته الحقيقية، وذلك بضرب مثل مألوف له في حياته، فيقول: (ﭐﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ) [الحج: 73].

فالغفلة داء يعتري النفس حينما تنغمس في شهوات الدنيا وملذَّاتها، أو حين تلهو في أعمالها ووظائف حياتها، فتنسى فضل المنعم عليها وآلاءه، فلا يكون لها ناصر ومعين إذا وقعت في الشدة والضيق، أما النفس التي عرفت فضل بارئها عليها وعملت جوارحها فإنها تخرج من كربات الدنيا بما قدمته من الأعمال الصالحة، وهذا تصديق لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب

فليكثر الدعاء في الرخاء»([2]).

وهذه الحال لا تخص المؤمن فحسب؛ بل تتعدى إلى غير المؤمن، ممن يقع في هول المصيبة وخطر الحدث، فيلجأ من غير شعور إلى الخالق ليكشف عنه ضره (ٹٹٹٹٹٹٹڤڤڤڤڤڤڦڦڄ) [العنكبوت: 65].

فكان لزامًا على الناس الاستشعار بضعفهم وصَغارهم أمام مالك الملك وجبروته وقوته، وأن يقدموا أعمالًا صالحة بين يدي هذا الخالق، لتكون لهم شهادة خير ونجاة إذا ما تراكمت الكروب واشتدت الهموم والأحزان، فإنه لا ملجأ منها ولا منجى إلا من الله وإلى الله، وأن يتوجه هؤلاء الناس بصالح أعمالهم ودعواتهم إليه وحده دون سواه، فكل معبود غير الله باطل، وكل قوي غير الله ضعيف، يقول جلّ ذكره: (ۋۋووۋۋې ېېېىئا ئا ئە) [الأعراف: 194].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»([3]).

وليعلم العبد أن الله تعالى لا ينفعه عمل صالح ولا يضره عمل طالح، وإنما هكذا جرت حكمته جلّ وعلا، حيث يقول جلّ ذكره في الحديث القدسي: «يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»([4]).

وبعد، فهذه كلمات تبين عمق أهمية ما يحتويه هذا الحديث العظيم من أثر على حياة المسلم مما يحدوه إلى التأمل والنظر الدقيق فيه لعل الله تعالى أن يزيده هدى وتقى وصلاحًا واستقامة، وأن ينفس كرباته وينير دربه ويذلل عقباته.

---

[2]() جامع الترمذي، رقم(3382)، ص(772)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب .

[3]() رواه الترمذي، رقم(2388)، ص(544)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[4]() رواه مسلم، رقم(2577)، ص(1128) .

□◀◀ ▶▶□

الوقفة الثانية:

العمل الصالح وتفريج الكروب

العمل الصالح: هو كل عمل يقوم به الإنسان بناءً على أمر الله ورسوله وتكون الغاية منه هو رضى الخالق تبارك وتعالى، فيدخل في العمل الصالح جميع أوامر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المفروضة والمستحبة، ومن ذلك جميع أعمال الخير التي فيها منفعة لنفسه وللناس وشؤونهم، وكذلك يدخل فيه ترك المنهيات والمحرمات التي حذَّر الشارع من إتيانها أو الوقوع فيها، بشرط أن تكون جميع هذه الأعمال والأفعال خالصة لله تعالى وامتثالًا لأمره.

فالعمل الصالح ينقسم من حيث وجوبه واستحبابه إلى قسمين:

الأول: الفرض، وهو ما أوجبه الله سبحانه وافترضه على عباده ابتداءً بتوحيده عز وجل، ثم بقية أركان الإسلام وغيرها من الواجبات.

الثاني: المستحب، ودائرته واسعة وكبيرة، فلكل واجب من الواجبات مستحبات وسنن، فالصلاة منها ما هو واجب كالصلوات الخمس، ومنها ما هو مستحب كالسنن الراتبة والوتر وصلاة الضحى وغيرها، والزكاة كذلك، والصوم كذلك، والعمرة والحج كذلك.

وينقسم العمل الصالح من حيث نفعه للشخص أو تعدي نفعه للآخرين إلى قسمين:

الأول: ما يقصر نفعه على العبد نفسه، كالصلاة وقراءة القرآن والذكر وغيرها.

الثاني: ما يتعدى نفعه للآخرين؛ كالزكاة وتعلم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس وإعانة المحتاج، وإقامة المشاريع الخيرية، وغيرها.

والعمل الصالح من حيث الوقت ينقسم إلى قسمين:

الأول: منه ما هو محدد بوقت وزمن، كالصلاة المفروضة والصيام والحج.

الثاني: ومنه ما هو مطلق، كالصدقة المستحبة والأذكار المطلقة وغيرها.

وكل ما ذكر يشمله مسمى العمل الصالح.

○ ○ ○

والدعوة إلى العمل الصالح هي مجال نداءات الرسل والأنبياء ملازمة لدعواتهم إلى توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد من الأصنام والأوثان والقوانين، فالإيمان بالله إلـهًا واحدًا لا شريك له من غير أن يعضده العمل الصالح يكون مجرد ادّعاء، وكان بالإمكان أن يتبع كل الأمم رسلهم وأنبياءهم، ولكنهم يدركون تمامًا أن من أهم مقتضيات هذا الإيمان تقديم الأعمال التي تغير مسيرة حياتهم وواقعهم، وترك ما هم عليه من الشرك والضلال، من أجل ذلك لم يستجب كبراء قريش وسادتها لدعوة الرسول ﷺ لهم حينما طلب منهم كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقالوا: إلا هذه، وكذلك عدم استجابة عم الرسول ﷺ للنطق بها؛ لأنهم جميعهم كانوا يدركون أن كلمة التوحيد تحمل أعباء وأعمالًا.

وقد جاءت الآيات القرآنية الكثيرة تبين للمؤمن أن الإيمان والعمل الصالح لا يمكن فصل بعضهما عن بعض، فلا إيمان من غير عمل صالح، ولا عمل صالح من غير إيمان، فجاءت تلك الآيات باقتران الإيمان بالعمل الصالح دائمًا، وهذه بعض الشواهد على ذلك، قال الله تعالى: (ٱﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙ) [البقرة: 25]، وقال أيضًا: (ﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓ ﯔﯕﯖ) [البقرة: 82]، وقوله تعالى: (ﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤ) [الروم: 15]، والنصوص في ذلك أكثر من أن تحصى، وكلها تؤكد هذه الحقيقة.

ومحاسبة الإنسان ثوابًا أو عقابًا يكون على أساس العمل الذي يقوم به، صالحًا أو غير صالح، فهو محور المحاسبة مع التوحيد بعد سن التكليف، ولن يحاسب الله تعالى عباده بما تكنه أنفسهم أو توسوس لهم الشياطين، أو ما تراودهم من أفكار وأعمال سيئة ومحرمة دون أن تقترن بقول أو عمل، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «قال الله عز وجل: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا»[5].

وأما ما يصدر عن الإنسان من عمل فإنها تكتب في صحيفته، يكتبها البررة الكرام، يقول الله تعالى: (ﭽﭼﭻﭺ ﭹﭸﭷ) [الانفطار: 10 – 12]، ومهما كان نوع هذا العمل، كبيرًا كان أو صغيرًا، يأتي به الله تعالى يوم القيامة، يقول جل ثناؤه: (ﭽﭼﭻﭺﭹﭸﭷﭶﭵﭴﭳﭲﭱﭰﭯ ﭮﭭﭬﭫﭪﭩﭨﭧﭦ ﭥﭤ) [الكهف: 49]، لينشر له يوم القيامة فيحاسب عليه ثوابًا أو عقابًا.

⚪ ⚪ ⚪

إذا كان العمل الصالح هو امتثال لأمر الله تعالى، وعلامة على حب صاحبه لربه تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، فإن الله تعالى يرفع شأن من يؤدي هذا العمل في الدنيا والآخرة، ويرفع من شأن عمله أيضًا، حتى يكون مفرِّجًا لكرباته وآلامه في الدنيا، وحجابًا واقيًا من عذاب الله يوم القيامة، بل يكون سببًا في نوال رضوان الله تعالى، والفوز بالنعيم المقيم في جنب الله وجناته.

ويشهد لهذه الحقيقة المهمة هذا الحديث، حيث ذكر ثلاثة أعمال صالحة تقرب بها أولئك الرهط، فأنقذهم الله تعالى بسببها مما كانوا فيه من الشدة والضيق، وأزاح عنهم الصخرة، والعبرة هنا بيان أن هذه الأعمال هي بمثابة حجة وقوة لدى عباد الله الصالحين لتجاوز الأزمات والكربات ولعبور المخاطر والمشقات في الحياة، وأن جميع الأعمال الصالحة تحمل

---

[5]() «صحيح البخاري»، رقم(7501)، ص(1292)، «صحيح مسلم»، رقم(128)، ص(68).

الخاصية نفسها التي تميزت بها أعمال أولئك الرهط، وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد هذه الحقيقة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «أن رجلًا رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له فأدخله الجنة»[6].

وكذا ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن امرأة بغيًا رأت كلبًا في يوم حار يضيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها»[7].

ولا تعني المطالبة بالعمل الصالح بإجهاد النفس والجسد في القيام به ليلًا ونهارًا، وإنما إتيانه كما أمر الله تعالى بالقسط والاعتدال من غير غلو ولا تقصير؛ حفاظًا على الاستمرارية وخوفًا من الترك والنفور، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «أدومه وإن قلَّ»[8].

⚪ ⚪ ⚪

والعمل الصالح ينقطع بانقطاع الأنفاس بموت صاحبه وانتقاله إلى ربه، إلا أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد بشَّر الأمة بأن هناك بعض الأعمال الصالحة لا ينقطع ثوابها حتى بعد موت صاحبها، فقد روى أبو هريرة ا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[9].

وليعلم العبد أيضًا أن العمل الصالح مهما بلغ من شأنه ومنزلته، ونقائه وكثرته، فإنه ليس هو ذاته الذي يقرب صاحبه من الله ويدخله

---

[6]() «صحيح البخاري»، رقم(173)، ص(34)، و«صحيح مسلم»، رقم(2244)، ص(996) .

[7]() «صحيح البخاري»، رقم(3321)، ص(551)، و«صحيح مسلم»، رقم(2245)، ص(996) .

[8]() «صحيح البخاري»، رقم(6465)، ص(1121)، و«صحيح مسلم»، رقم(782)، ص(318) .

[9]() «صحيح مسلم»، رقم(1631)، ص(716) .

جناته، فلو سخر الإنسان عمره كله في الطاعة والعبادة لما شكر نعمة البصر الذي يبصر به – مثلًا- فكيف بسائر النعم والآلاء! ولكن الذي يقرب الإنسان من ربه ويرزقه الجنة هو رحمة الله تعالى وفضله، حتى الأنبياء والرسل، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: يا رسول الله! ولا أنت؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[10]. ولكن على المسلم العمل بالأعمال الصالحة كما أمره الله سبحانه بالنية الصالحة الصادقة فيكون هذا العمل قائدًا لرحمة الله تعالى وفضله.

□◄◄ ►►□

[10]() «صحيح البخاري»، رقم(5673)، ص(1004)، و«صحيح مسلم»، رقم(2816)، ص(1226).

الوقفة الثالثة:

تفصيل الأعمال الصالحة في الحديث

أشار الحديث إلى الأعمال التي توسل بها النفر الثلاثة إلى الله تعالى لإزاحة الصخرة عن غارهم، والإشارة إلى بعض النقاط المهمة فيها، ولا شك أنها أعمال جليلة وكريمة، شأنها عظيم في الإسلام، فلما أداها هؤلاء بإخلاص ظهرت نتائجها في الدنيا:

❒ أولاً: حقوق الوالدين:

إن من الأعمال الصالحة التي تقدم أحد أولئك النفر بين يدي ربه هو ذكره لعمل جليل قام به في إحدى الليالي لوالديه حفاظًا على راحتهما ودفعًا لإزعاجهما، وتوسّل لربه عز وجل – وهو عليم بذلك – أن ما قام به كان خالصًا لوجه الله تعالى، وطمعًا في ثوابه ورضاه، فكان هذا التضرع بهذا العمل الصالح في ذلك المقام العصيب في الغار، سببًا لإزاحة الصخرة قليلًا وانفراجها عما كانت عليه.

فنستشف من هذا الحديث وهذه القصة عظم شأن الوالدين عند الله تعالى، وكيف لا يكون ذلك كذلك وقد جاء الخطاب الرباني في كتاب الله العزيز باقتران الإحسان للوالدين مع الأمر بتوحيده وإفراده بالعبودية: (ﮗ ﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟ ں) [النساء: 36]، وأيضًا قوله تعالى: (ﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝ ﮞﮟ ں) [الإسراء: 23] وغيرها من الآيات.

فالإحسان إلى الوالدين، والبر بهما من الأعمال الصالحة التي يحبها الله ورسوله.

وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على

وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»([11]).

وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فحافظ على والديك أو اترك»([12]).

وجاء التحذير الشديد والوعيد الأليم في القرآن والسنة لمن يسيء إلى والديه بأية صورة أو أي شكل، وإن كانت بالإشارة أو التأفف، يقول الباري عز وجل: (ﮗ ﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠ ﮡﮢﮣﮤﮥﮦ ﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰ ﮱﯓ) [الإسراء: 23 – 24].

ويصف النبي صلى الله عليه وسلم فعل مَنْ يسيء إلى والديه ويعقهما بالكبيرة التي عليها الوعيد الشديد من الله تعالى: عن أنس ا قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكبر الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور»([13]).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنَّان بما أعطى»([14]).

فليتعظ أولئك الناس الذين يتغربون أو يغرّبون في أفكارهم وتصوراتهم من هذا الاهتمام الكبير والعناية الفائقة لهذا الدين بالوالدين اللذين صرفا عمرهما وأنهكا قوتهما وسهرا الليالي لأجل أولادهما، وكم بكيا لآلامهم وأوجاعهم! وكم تصبرا لعنادهم ومراهقاتهم! أليس من الوفاء أن يرد جزءًا قليلًا من ذلك التعب المضني والعذاب الدائم بالإحسان إليهما؟ لا أن نلجأ كما يلجأ الغربيون ومن يسيرون على نهجهم إلى إنشاء

---

[11]() «صحيح البخاري»، رقم(527)، ص(89، 90)، و«صحيح مسلم»، رقم(85)، ص(52) .
[12]() «سنن ابن ماجه»، رقم(2089)، ص(300) .
[13]() «صحيح البخاري»، رقم(2653)، ص(430)، و«صحيح مسلم»، رقم(88)، ص(53) .
[14]() «سنن النسائي»، رقم(2563)، ص(354).

دور للعجزة، أو وضعهم في صناديق ورميها على أطراف المدن؟؟!! نسأل الله العفو.

ومن هنا فالمسلم يضع ضمن أولويات برامجه في هذه الحياة برّ والديه والإحسان إليهما والقيام بشؤونهما قوليًّا وفعليًّا وماديًّا؛ تنفيذًا لأمر الله تعالى، وردًّا للجميل بنفس راضية مطمئنة من غير ضجر أو ملل أو كآبة، ما لم يكن في معصية الله[15].

❐ ثانيًا: الابتعاد عن الفاحشة:

وكان العمل الثاني الذي توسّل به أحد الرهط الثلاثة إلى الله تعالى، والمسجَّل له في يوم من الأيام عند مليك مقتدر، هو تجنبه الفاحشة أو الزنا حينما كان الوضع مهيئًا له والأسباب متوافرة للوقوع فيها، فتضرَّع – كما تضرع صاحبه الأول- لله تعالى وبث إليه أنه لم يمنعه ويردعه عن هذه الفعلة الشنيعة إلا خوفه من خالقه الذي يرى كل شيء، واستحياؤه منه، فتوسّل إلى الله تعالى بهذا العمل الصالح والنية الصادقة إلى ربه بأن يزيح الصخرة عن الغار، فاستجاب الله تعالى له، لعلمه جل وعلا السابق بنيته وعمله، فتحركت الصخرة قليلًا عن الغار.

وتجنب فاحشة الزنا والابتعاد عنها وعن الأسباب التي تؤدي إليها من مشاهدة الأفلام الماجنة والصور الخليعة، والرقصات المهيجة -هذا الابتعاد من العمل الصالح الذي يفتح الله تعالى للإنسان به في الحياة الدنيا آفاقًا عظيمة في العطاء والراحة والمال والزوجة الصالحة والأولاد الصالحين، فضلًا عن ردّ الكربات والآفات والمتاعب في الحياة وتسهيلها، ثم الجزاء الأوفى والمثوبة العظمى عند ربه يوم لا ناصر ولا معين، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله...»

---

[15]() قد فصلتُ حقوق الوالدين في كتابي «دروس في الحقوق الواجبة على المسلم» فليرجع إليه من أراد التفصيل.

.([16])

وفي المقابل من ذلك فإن إتيان الزنا ومقدماته من الكبائر التي توعد الله تعالى عليها بالعقوبة في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: (ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤ) [الفرقان: 68]، ويقول أيضًا: (ﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐ ﮑﮒ) [الإسراء: 32].

وانتشار الزنا والفاحشة سبب لغضب الرحمن، وإنزال العقوبات والكوارث والزلازل على الناس على مستوى الفرد الواحد أو على مستوى الجماعة من الناس، فانظر إلى قوم لوط الذين انتشر فيهم اللواط، وهو أشنع من الزنا، ودعاهم نبيهم إلى ترك هذا الفعل المقيت فلم يستجيبوا؛ فكانت العقوبة والعذاب من الله جل وعلا: (ﯗﯘﯙ ﯚﯛﯜ ﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣ ﯤﯥﯦ ﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮ) [النمل: 54 – 58].

هذا وإن في انتشار الزنا ضياعًا للأنساب وإفشاءً للأمراض المزمنة والقاتلة، كالإيدز والزهري والسيلان والالتهابات الجلدية وغيرها، وما يتبع ذلك من الأمراض النفسية والعاهات الخلقية، وتفككًا للأسر والمجتمعات، وكثرة اللقطاء والأولاد المشردين في الملاجئ والشوارع وتحت الجسور، مما يسبب اضطرابًا في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والأمنية.

● ● ●

ومما يؤكَّد عليه هنا تلخيصًا لما سبق ومزيد بيان:

أ – أن ترك المعاصي والمنكرات مع القدرة على فعلها من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، ويظهر أثر ذلك عليه في الدنيا والآخرة.

([16]) «صحيح البخاري»، رقم(1423)، ص(330)، و«صحيح مسلم»، رقم(1031)، ص(415) .

ب – أن العمل الصالح فعلًا لأمر أو تركًا لنهي سبب لتفريج الكروب وإزالة الهموم.

فليعِ هذا الأمر كل طائع لله وداعية وهو في طريقه إلى الله فيزيد من الأعمال الصالحة، وليعِ هذا كل مهموم ومحزون فينظر لنفسه ولعمله فلعله وقع في معصيةٍ فيحاسب نفسه عليها فيقلع عنها فيزول همه وينكشف غمّه فيمضي سعيدًا في حياته.

❐ ثالثًا: إعطاء الأجير حقه:

وهذا هو العمل الصالح الثالث الذي توسَّل به آخرهم إلى ربه لتنفرج الصخرة عن فتحة الغار بالكامل، وهو احتفاظه بمال أجير كان عنده واستثماره له، وهو حق من حقوق العباد التي لا يستطيع التخلص منها بالتوبة أو الاستغفار أو الدعاء، وإنما ينبغي إيصاله إلى صاحبه، أو إعفاء صاحبه عنه عن طيب نفس، فيقدم هذا الأخير بين يدي ربه هذا العمل الصالح الفاضل، ويناديه إن كان ذلك خالصًا لوجهك فافرج عنا، فيستجيب الله تعالى لندائه لأنه يعلم سابقًا أن ما عمله كان لأجله جلّ شأنه، فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون.

فتعدّ حقوق الأجير من عامل وخادم وموظف ونحوهم من المسؤوليات العظيمة التي يحاسب الإنسان عليها يوم القيامة، ولا تسقط عنه هذه المسؤولية مهما قدّم من الطاعات والعبادات، فإن هذه الحقوق ليست من حقوق الله سبحانه وتعالى وإنما هي حقوق لعباد الله، لا تُغفر له إلا إذا تنازل صاحبها عنها، وأكل حقوق الناس عامة وحقوق الأجير خاصة من الظلم الذي يكون ظلمات يوم القيامة، ويؤدي بالـمُنْكِر لهذه الحقوق أن يكون الله جل وعلا خصمه يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرامًا فأكل منه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه

ولم يعط أجره»([17]).

وإن من المصائب الكبرى والآفات المعضلة في هذا العصر: انتشار هذا الوباء الخطير بين أبناء المسلمين أنفسهم، فليحذر أرباب الأعمال وأصحاب المؤسسات والشركات، الذين يشغِّلون عباد الله تحت أيديهم وفي مصانعهم وشركاتهم، ليحذر هؤلاء من الغدر بهم أو عدم إعطائهم حقوقهم كاملة، أو التعاقد معهم على شيء ومحاسبتهم بشيء آخر، فإن ذلك ينذر بعقوبة الله تعالى وغضبه، وينذر بفقدان البركة من الأموال، بل بفقدان الأموال كلها بخسارة أو كارثة، أو سرقة، أو غيرها، من أجل ذلك كان لابد من الالتزام والوضوح بالعقود المبرمة بين الطرفين، وإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم في الوقت المتفق عليه دون تأخير أو تماطل أو مراوغة، فإن الأجير إنسان عليه مسؤوليات وحقوق تجاه نفسه وأسرته وأولاده وأهله، لذلك قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»([18]).

وإن من أسباب بركة الأموال وازديادها، ومن أسباب التنمية الاقتصادية المتطورة، ومن أسباب الخروج من الكربات المالية كالديون والخسائر التجارية: هي إعطاء الحقوق لأصحابها والتعامل بوضوح واستقامة مع الآخرين، ولا شك أن ذلك من الأعمال الصالحة التي ترتقي بالأمة إلى مدارك الرفعة والتمكين في مجالات الحياة كافة، وتزيل عنها تخلفها وفقرها وجهلها.

هذه الأعمال الصالحة الثلاثة التي تقرب بها الرهط الثلاثة لخالقهم ليخرجوا مما كانوا فيه من الانحسار والانحباس في الغار، وقد لبّى الله تعالى دعوتهم وقبل تشفعهم بتلك الأعمال، وفي ذلك دليل على أن الإنسان

---

[17]() «صحيح البخاري»، رقم(2270)، ص(361، 362) .
[18]() «ابن ماجه»، رقم(3443)، ص(350) .

بحاجة ماسة إلى الأعمال الصالحة التي تكون خالصة لوجه الله تعالى لتكون له سلاحًا في الدنيا وذخرًا في الآخرة.

ويرد هنا سؤال: هل هذه الأعمال الصالحة فحسب هي التي يظهر أثرها على النفس والأسرة والمجتمع في الدنيا والآخرة؟ أم كل عمل صالح واجب أو مستحب؟

والجواب: هو الثاني بلا شك، فالعلم الصالح أيًّا كان واجبًا أو مستحبًّا له أثره إذا قورن بالإخلاص.

وهذا يعني أن المسلم يعيد برمجة حياته ليحتفظ له بالأعمال الصالحة وبخاصة إذا كانت لازمة الوجوب مثل: بر الوالدين، والبعد عن الفواحش، وحفظ الأمانة، وبخاصة إذا كانت حقوقًا للآخرين، وهذا يدل على عظم حقوق الناس وعدم خدش أعراضهم وأموالهم وعدم رد جميلهم، فليعِ كل مصلح ذلك، وليعِ كل مسلم ذلك، وليعِ كل معرض ذلك قبل فوات الأوان.

□◀◀ ▶▶□

الوقفة الرابعة:

الإخلاص في أداء الأعمال الصالحة وأثره

من أهم شروط قبول العمل الصالح عند الله تعالى، ليكون زادًا في الحياة الدنيا للخروج من الكربات والشدائد، ونجاة وفلاحًا يوم القيامة: أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله تعالى لا يشرك فيه أحدًا غيره جل وعلا، وأن يكون تنفيذًا لأمره تعالى، خوفًا من عذابه وطمعًا في جناته، بحيث لا يلابس هذا الإخلاص شيء من كسب الدنيا في الحصول على منصب أو مال، أو من أجل شهرة أو تجارة أو أي أمر آخر دنيوي.

والنية الصادقة هي محور هذا الإخلاص، وهو أن ينوي الإنسان عند القيام بأي عمل صالح امتثال أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا المحور مهم في عمل الإنسان كله؛ لأنه يحدد الثمرة الناتجة لهذا العمل، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»([19]). فإذا اختلطت مع هذه النية أهداف غير تلك التي حددها الله ورسوله، فإن مسار هذا العمل يرجع إلى نقطة الصفر، وكأن شيئًا لم يكن، بل ربما صار هذا العمل عبئًا ثقيلًا عليه يوم القيامة، فيأتي وصحيفته فارغة من ثواب الأعمال التي كان يقدمها في الدنيا؛ لأنه كان يريد بها الوصول إلى أمور دنيوية وقد حصل عليها، فلم يبق له شيء عند ربه، يقول الله تعالى: (ۋۋ ۅ ۅ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى) [البقرة: 264].

وقال تعالى: (ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ) [الفرقان: 22 – 23].

([19]) «صحيح البخاري»، رقم(1)، ص(1)، و«صحيح مسلم»، رقم(1907)، ص(853) .

وقال تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ) [الكهف: 103 – 105].

وعن أنس بن مالك ا أنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته»[20].

ومن مقتضيات هذا الإخلاص أيضًا: أن يطابق العمل النية والقول، فلا يحدث بينهما تناقض أو تضاد، وهذا من الأمور الحساسة التي ينبغي أن يلتفت إليها المؤمن عامة والداعية خاصة، فإن حدث تناقض بين القول والعمل فإن الإخلاص يتزعزع في النفس؛ فلا يكون للقول أثر، ولا للعمل مدلول، قال الله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ) [الأحزاب: 70 – 71].

ومن أجل هذا فرَّج الله تعالى عن الثلاثة هذه الصخرة عندما عملوا أعمالهم التي توسَّلوا إلى الله بها خالصة لوجهه تعالى. ومن هنا فإن الفصل بين العمل والنية يؤدي إلى عدم القبول عند الله تعالى ومن ثمَّ عدم الأثر في الدنيا.

فدعوة لكل مسلم أن يجدد نيته في أعماله.

ودعوة لكل مبتلى أن يراجع نيته ويتعلق بربه.

ودعوة لكل داعية وناصح أن يختبر نيته ليكون له قبول أكثر.

□ ◄◄ ►► □

---

[20] () «صحيح مسلم»، رقم(2808)، ص(1222) .

الوقفة الخامسة:

أثر العمل الصالح في تفريج الكروب

الأعمال الصالحة جميعها تشفع أحيانًا للإنسان في الحياة الدنيا، كما جاء في الحديث الذي نحن بصدده، وتفرج عنه بعض مآسيه ومعاناته، وتكشف عنه كرباته وآلامه، مع العلم أن الله تعالى ليس بحاجة إلى أعمال الإنسان وطاعاته وعباداته، ولكنها رحمته وفضله على عباده.

ويمكن دراسة تأثير العمل الصالح في تفريج الكربات بشقيها النفسية والمادية:

- أولاً: الكربات النفسية:

وهي تشمل كل الأمراض النفسية والانفعالات العصبية التي تعصف بالإنسان خارج حدوده الطبيعية وتنزع منه الإرادة لضبط النفس وتقويم السلوك، وهذه الكروب كثيرة جدًّا قد تفردت بها أبحاث ومحاضرات، إلا أننا يمكن أن نتطرق إلى بعضها التي كثر انتشارها وتوسعت دائرة المصابين بها، ومنها:

1 – الهـم :

وهو زيادة في التفكير المستمر بالأشياء، سواء كانت كبيرة وعظيمة أو صغيرة وحقيرة، وكذلك التفكير المستمر في كيفية حمل أثقال المستقبل ومسؤولياته، وهو داء نفسي يدخل إلى النفس من خلال وساوس الشيطان للإنسان بعظم الأمور التي تحدث حوله وإن كانت صغيرة، ويعد الهم من الكروب التي يرزح تحت وطأتها الإنسان في فترات من حياته، لاسيما إذا صرف عن دين الله وابتعد عن سنة نبيه ﷺ، واتبع ما يوسوس إليه

عدوه الأول، فعندئذٍ يبتلي الله تعالى هذا الصنف من الناس بكربة الهمّ عقوبة لمعصية أو ابتلاء للرجوع إلى الله تعالى واتباع نهجه.

وكان السبيل لتفريج كربة الهم هو أن يقدم الإنسان بين يدي الله تعالى عملًا صالحًا خالصًا له عز وجل، أو يترك ما كان عليه من العصيان والتمرد، ويرجع إلى الله بالتضرع والتوسل إليه، وقراءة القرآن وكثرة الاستغفار، لعل الله تعالى أن يزيل عنه همه وتعود إليه عافيته وسويته، وقد ذكر رسول الله ﷺ شيئًا من علاج هذا الكرب، ووسيلة الخروج منه عند نزوله بالإنسان، فقال عليه الصلاة والسلام: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»[21].

وقد علمنا الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام دعاء في لحظات الهم والحزن، فقال: «ما قال عبد قط إذا أصابه همّ وحزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي؛ إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحًا»[22].

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يتعوَّذ من الهمّ كثيرًا ويحث على هذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضَلَع الدين وغلبة الرجال»[23].

2 ـــ الحزن :

---

[21]() «سنن أبي داود»، رقم(1518)، ص(224)، و«ابن ماجه»، رقم(3189)، ص(545) .

[22]() «مسند أحمد»، رقم(4318)، ص(362) .

[23]() «صحيح البخاري»، رقم(6369)، ص(1106)، و«صحيح مسلم»، رقم(2706)، ص(1176).

وهو ما يسمى: (الكآبة) في علم النفس، ويكون في الغالب نتيجة حدث معين في الحياة أو مجموعة أحداث من: فقدان عزيز أو خسارة مالية، أو مرض، أو وضع اجتماعي غير مناسب، وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى تكوين الحزن لدى الإنسان، وهو أمر طبيعي يعتري كل إنسان، وهو فطرة في النفس كامنة فيها إذا وجدت أسبابها، لا يستطيع أحد التخلص منه إلا بالعلاج القرآني والنبوي، وقد قال رسول الله ﷺ عند موت ابنه إبراهيم: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[24]، وقبل ذلك اشتكى يعقوب عليه السلام حزنه إلى الله تعالى عندما فَقَدَ يوسف عليه السلام وقال: (ئى ئىئدىىي) [يوسف: 86].

إلا أن هذه الفطرة إذا استمرت لفترات طويلة واستسلم الإنسان لها في كل أوقاته، وازداد في التفكير على ما أصابه، فإنها تتحول إلى كربة نفسية يجب معالجتها كأي مرض آخر، وحينئذ تتحول إلى بوابة كبيرة يستطيع الشيطان أن يدخل إلى الإنسان من خلالها، ويفعل فيه ما يشاء من الوساوس وتزيين المعاصي والمنكرات له.

ودرءًا لمنع وقوع الإنسان في دائرة الحزن الذي يتحول إلى مرض كانت الأحاديث الكثيرة التي تنهى عن المبالغة في الحزن عند نزول مصيبة أو غيرها، حتى لا يقع الإنسان في المنكرات، ويجزع من أمر الله تعالى، وقد علم عليه الصلاة والسلام أصحابه وأمته من بعده أن لا ينقطعوا عن الأعمال الصالحة التي تقوي من عزيمة الإنسان وإيمانه، وترضيه بقدر الله وقضائه.

فهذا هو نبي الله يعقوب عليه السلام الذي أصابه ما أصابه من غياب أحب ولده إليه وقرة عينه يوسف عليه السلام، لسنين طويلة ولا يعرف

---

[24]() «صحيح البخاري»، رقم(1303)، ص(208، 209)، و«صحيح مسلم»، رقم(2315)، ص(1022، 1023) .

عنه شيئًا، ومن بعده ابنه الآخر عند سفره مع إخوانه للتجارة إلى مصر، فقد حزن ولكنه لم يصبه الجزع، بل بقي على عهده مع الله تعالى، واشتد تعلقه بربه، وازداد يقينه بالله وحكمه، وصبر واحتسب، فقال: (ئى ئى ئى ئى ی ی) [يوسف: 86] إلى الله وحده، لا إلى ملك ولا إلى صنم، ولا إلى معبود آخر غير الله، ولا إلى مخدرات أو مفترات أو منبهات؛ فكان ذلك سببًا للفرج العظيم والفرح الذي لا يوصف، عندما جاءه البشير بقميص يوسف عليه السلام، فكان ذلك خروجًا وعافية من كربته ومعاناته النفسية في فراقه ليوسف وأخيه، ورجع إليه بصره عليه السلام.

3 ـــ القلق :

عرَّفه بعض علماء النفس: بأنه الشعور بالتخوف من احتمال وقوع شيء غامض مكروه[25]، وهو كربة نفسية، والمصاب به لا يشعر بالأمان والاستقرار في نفسه ولا من حوله؛ بل يلازمه الاضطراب والتوتر معظم أوقاته، وهذه الكربة عادة ما تنشأ من الوساوس التي يمليها الشيطان في النفس نتيجة رؤية مشهد غير مألوف، أو حادث مرعب، أو الاختلاط مع أناس تمردوا عن الأخلاقيات العامة كرفاق السوء من المقامرين والمدمنين للخمور والمخدرات وغيرها، أو تخوف من مستقبل مجهول، فينشأ لدي الإنسان نوع من التناقض الداخلي ليتحول بعده إلى صراع في النفس بين ما كان عليه وبين ما يوسوس له الشيطان الذي آلى على نفسه غواية الناس وإضلالهم وإدخالهم في شكوك ومزاحمات فكرية ونفسية، يقول الله تعالى على لسانه: (جم حج حم خج خح خم سج سح سخ) [ص: 82 – 83].

فإذا علم الإنسان حقيقة الكربة وسببها تمكن من علاجها والتخلص منها، وقد بيَّن الله تعالى أن من شأن الشيطان أنه ينزغ في الإنسان ويوسوس له في أموره كلها، لا سيما الصالحة منها، ولكن الله تعالى

---

[25]() «دع القلق واستعن بالله»، ص(22، 23) .

وصف العلاج وبيّن الدواء لعباده لتجنب كربة القلق أو الخروج منه عندما يصاب به الإنسان، وكان هذا العلاج طاعته سبحانه وتعالى والقيام بالأعمال التي ترضيه عز وجل، والاستكثار من ذكره سبحانه وتعالى في السر والعلن؛ لقوله تعالى: (تی تي ثج ثم ثی) [الرعد: 28].

وفي الامتثال بما أوجبه الله تعالى على الناس مخرج واسع من كربة القلق وآثاره، والتفكر العميق في مخلوقات الله وخلق السموات والأرض، والليل والنهار، وفي كل آيات الله الموجودة في هذا الكون الواسع، فهذا التفكر من أسباب إزاحة هم كربة القلق عن الإنسان، ألم يكن خليل الله إبراهيم عليه السلام قبل النبوة يشتكي من حاله وحال من حوله ممن يعبدون الأصنام؟ فما كان منه إلا أن توجه بالتفكير والتأمل في ملكوت الله تعالى، فأشار إلى الكوكب ثم القمر ثم الشمس لعلها تكون آلهة، فلما رآها تأفل تبرأ من فعل قومه، وأعلن عبوديته لله الأحد الذي يدير الكواكب والقمار والشموس والكون كله، فأزاح الله تعالى عنه غمته، ومنحه اليقين بدلًا من الشك والريبة، ثم كانت النبوة والرسالة، يقول الله تعالى في ذلك: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ) [الأنعام: 75- 79].

وكانت وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام للمؤمن: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[26]. حتى لا تقع في ظلمة الشك والقلق والاضطراب، وتسير في نور اليقين والهداية.

4 ــ الخوف :

عرفه بعض علماء النفس بأنه: قلق نفسي أو عصاب نفسي لا

---

[26]() «جامع الترمذي»، رقم(2518)، ص(572). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. و«النسائي»، رقم(5714)، ص(772). وذكره البخاري معلقًا في كتاب البيوع، باب تفسير المشتبهات، ص(329).

يخضع للعقل، ويساور المرء بصورة جامحة من حيث كونه رهبة في النفس شاذة عن المألوف تصعب السيطرة عليها والتحكم بها([27]).

والخوف نوعان: إيجابي، وسلبي:

فأما الأول: فهو الخوف من الله تعالى وعقابه وعذابه، وهو ضروري للإنسان ومطلوب منه لأنه يحقق العبودية لله تعالى، ويستقيم سلوك الإنسان به ويستقر المجتمع والأفراد، بل جعل الله من اتصف بهذا النوع من المؤمنين الصادقين، قال جل ذكره: (ٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦڄڄڃ) [الأنفال: 2]. ومن هنا يجب على المسلم أن يجعل الخوف من الله تعالى جناحًا يطير به إلى الله تعالى في مسيرته في هذه الحياة، والجناح الآخر رجاء حصول المطلوب في الدنيا والآخرة.

والنوع الآخر: سلبي وهو الخوف من غير الله، أو الخوف المانع من فعل الطاعات أو الخوف الجالب لفعل المعاصي، كالخوف من السحرة والدجالين.

وهناك نوع ثالث: وهو الخوف الجبلِّي أو الطبيعي الذي لا يترتب عليه فعل معصية أو ترك طاعة، كالخوف من الظلام لمن لم يتعود عليه. وهذا الخوف يكون إيجابيًّا إذا منع من معصية أو حثَّ على فعل طاعة، ويكون سلبيًّا إذا كان على العكس من ذلك.

⚪ ⚪ ⚪

ويعد الخوف في صورته السلبية كربة نفسية، وبلاء من الله تعالى؛ لقوله عز وجل: (ٺٺٺٺٺٺٺٿٿٿٿڤڤ) [البقرة: 155 – 156].

ولهذا النوع من الخوف صور متعددة: كالخوف من الموت، أو الخوف من الناس، أو الخوف من المرض، أو الخوف من الفقر، أو الخوف من المستقبل، وغيرها من الأسباب والمؤثرات التي تولد الخوف

([27]) «موسوعة علم النفس» د. أسعد رزق .

لدى الإنسان.

وللخروج من كربة الخوف وظلامه، يجب التوجه الصادق إلى الله، واليقين الكامل بأن الله تعالى فوق كل قوة، وفوق كل جبار، وأنه تعالى لا ينازعه على ملكه أحد، ولا يتحرك شيء في هذا الكون إلا بأمره وحكمه، فإذا وصل الإنسان إلى هذه القناعة وهذا الإيمان، فإنه سيتحرر من ربقة كربة الخوف وسطوته، وينطلق إلى عالم الشجاعة والمواجهة، فيعمل ويجتهد ويطور ويخترع، لأنه يستند في حياته إلى العزيز الجبار. يقول الله تعالى: (ٱﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞ ﭟ) [فصلت: 30].

وخير ما يُقال في مواضع الخوف وعند نزوله هو (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ)، فقد روي عن ابن عباس ا قال: (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ) قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: (ﯿ ﯾ ﯽ ﯼ ﰃ ﰄ ﰅ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ)[28].

فهذا هو رسول الأمة وقدوتها يهاجر في سبيل الله برفقة الصديق ا، ويختبئان في غار ثور، وتلاحقهم قريش، وقد أعدُّوا لمن يأتي بالرسول الأموال والجاه، إلى أن يقفوا على باب الغار، فيقول الصدِّيق: يا رسول الله! والله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا، فيطمئنه الرسول عليه الصلاة والسلام ويرده إلى حقيقة الأمر ويقول: «يا أبا بكر! ما بالك باثنين الله ثالثهما»[29].

ثم إن هذا الدين قد عالج بعض صور هذه الكربة من البداية حتى لا يقع فيها الإنسان من خلال الشيطان الرجيم، فالخوف من الموت –مثلًا- قد بيَّن الله تعالى حقيقة الموت التي لا مفر منها، وقطع الأمل في تحاشيها، ولكنه عز وجل أخفى توقيتها عن الناس، وأن الإنسان مهما حاول الفِرار منه فإنه لا يخرج من سلطان الله وملكه، وأنه آيب إليه، يقول عز وجل:

---

[28]() «صحيح البخاري»، رقم(4563)، ص(777) .
[29]() «صحيح البخاري»(3653)، ومسلم (2381) .

(ۋۋ ېېېېد) [الجمعة: 8].

وأما الخوف من الناس فإن رب العزة قد أشار إلى أن الخوف الحقيقي يجب أن يكون من الله لا من غيره، يقول تعالى: (گگگگ) [المائدة: 44].

وكذا أنكر الإسلام الخوف من الفقر؛ لأن الخالق والرازق هو الله، ورزق العباد ليس بيد العباد وإنما بيد خالق العباد، قال جل ثناؤه: (چچچچ چچچچڍ) [الإسراء: 31]، وقال أيضًا: (ہہھھھ) [الذاريات: 22].

فتقرر بهذا أن العمل الصالح يورث قوة التعلق بالله سبحانه، وهذه القوة تزيل الخوف من تلك الأمور المورثة للأمراض النفسية والكربات والقلق والخوف المذموم.

5 ــ اليــأس :

هو تصور في النفس بفقدان الأمل في التخلص مما تعانيه من ظروف وأحوال. وهو عكس التفاؤل، واليأس يعد مرضًا وكربة تؤثر في النفس بشكل سلبي دائمًا فيجعلها تتراجع إلى الوراء، وتسير خلف الركب، وهو عدو الفكر والتحرر والانطلاق، وعدو التطور والتقدم والابتكار، وهذا هو مبتغى الشيطان وقمة فرحه وسروره، ثم إنه يحقق أهداف أعداء الله الذين يحاولون بكل ما أوتوا من قوة وإعلام وغيرها أن يدخلوا إلى نفوس أبناء الأمة هذه الروح التي تجعل الأمة تابعًا لها في كل أمورها، فتهول قوة هذا العدو في نفوسهم وتعظّم عقله وصناعته وتقدمه، إلى أن يقولوا: لا نستطيع أن نبلغ ما بلغوا إليه، فلتكن هذه حالنا وتلك حالهم، وهذه كربة عظيمة ومرض خطير يرزح تحت وطأتها جمع كبير من المسلمين.

والسبيل الوحيد الذي يخرج المصاب بداء اليأس منه: أن يلجأ إلى الله تعالى بخالص الدعوات وأحسن الأعمال ليفرج عنه ما يعانيه، فإن رحمة الله تعالى وفضله عظيم، مهما بلغ الإنسان من الذنوب والخطايا،

ولا سبيل للنجاة من ذلك إلا هذا السبيل، يقول الله تعالى: (ۀہ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ) [الزمر: 53].

وجاء في الحديث القدسي الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[30].

ولخطورة كربة اليأس وأثره السيئ على النفس والمجتمع، جاء الدين الإسلامي بالتخلص منه ونبذه ومحاربته، وعدّ الذين يقطعون الأمل بالله تعالى ويقنطون من رحمته كفارًا خارجين عن الملة، قال الله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ) [يوسف: 87]، وقال تعالى: (ئى ئې ئى ئى ئد ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى) [العنكبوت: 23].

○ ○ ○

❒ ثانيًا: الكربات الحسية: وهي كثيرة، ومنها:

1 ـــ السجن :

السجن موجود منذ القدم وهو مخصص في الأصل للمخالفين والخارجين على قانون الحاكم والدولة من أصحاب الجنايات، ولكنه يضم بين جنباته بعض المظلومين، ولا سيما في البقاع التي يستعبد فيها الحاكم رعيته، ويطغى عليهم ويظلمهم، ويدعوهم إلى عبادة غير الله، وكان الجب -أو البئر- يستخدم أحيانًا نوعًا من أنواع السجون، وأيًّا كان سبب هذا السجن فإنه كربة تصيب الإنسان في جسده ونفسه وأهله وذويه، وقد ابتلى الله نبيه يوسف عليه السلام بهذه الكربة بنوعيه، كربة الحب حينما وضعه إخوته فيه ليخلو لهم أبوهم، وكربة السجن حينما رفض دعوة امرأة

---

[30]() «صحيح البخاري»، رقم(7405)، ص(1273، 1274)، و«صحيح مسلم»، رقم(2675)، ص(1166) .

العزيز.

وليس أمام الإنسان الذي يبتلى بهذه الكربة إلا اللجوء إلى الله في الليل والنهار، وأن لا يقطع أمله بربه وخالقه، وأن يقدم بين يديه سبحانه وتعالى أعمالًا صالحة ودعوات خالصة يبث عبرها عبوديته لله وافتقاره له، وأنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، فربما يكون ذلك قربانًا يفرج الله به كربته ويخرجه من سجنه ويجعل له بعد ذلك يسرًا وخيرًا.

وذلك ما فعله يوسف عليه السلام حين كان في ظلمة الجب وكذلك في السجن، لم ينقطع عن ربه الذي هو أرحم من الأم بولدها، ولم يفارقه التضرع والتوسل إلى الله وبث شكواه في ظلمات السجن القاسية، وقال بكل إيمان ويقين: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) [يوسف: 33]، فرغم مكوثه في السجن بضع سنين إلا أن الله تعالى منحه ثمرة ذلك العمل الصالح والدعاء الصادق، ألم يقل لامرأة العزيز: (ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ) [يوسف: 23]، فنال ثمرة ذلك أن جعله الله على خزائن مصر، وجاء إليه بإخوته وأبويه وكان فرجًا كبيرًا من الله على صدق نيته وعمله، حيث استشعر فرحة هذا الفرج لا سيما لقاؤه بأبيه يعقوب عليه السلام وأمه، يقول الله تعالى: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) [يوسف: 100].

وكذلك كربة نبي الله يونس عليه السلام في بطن الحوت لم تكن تنفرج عنه لولا أنه ذكر ربه بما يليق بجلاله سبحانه، واعترف بذنبه وضعفه لله تعالى لـمّا أفرج عنه إلى يوم القيامة، وقد ذكر الله تعالى قصة يونس في أكثر من سورة من القرآن لأخذ العبرة منها في الشدائد والكربات، وأن القلب الخاشع واللسان الذاكر والجوارح القائمة في طاعة الله كفيلة بإخراج صاحبها من الكربات التي تصيبه في الحياة الدنيا، قال جل ذكره: (ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے) [الأنبياء: 87 – 88]. ثم يقول جل وعلا في آيات أخرى: (ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ) [الصافات: 143 – 144].

ويقول ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»([31]).

والشواهد على أن العمل الصالح والدعاء الخالص لله تعالى تفرج عن الإنسان كربة السجن كثيرة، ورجالها أنبياء ورسل ودعاة وصالحون، فهذا هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يعاني هذه الكربة لإصراره على كلمة الحق والثبات عليها أو الموت دونها، فكانت ثمرة موقفه هذا أن أخرجه الله من محنته وكربته عزيز النفس، ينهل من علمه الصافي علماء الأمة، وتكسب من بعده الأمة العقيدة السليمة والسنة النبوية الصحيحة، وأصبح إمام أهل السنة والجماعة في عصره، وينسب إليه مذهب الحنابلة في الفروع.

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية جنى ثمرة صبره في السجن بيقينه في صدق دعوته، وإخلاصه لله تعالى، أن صار نبراسًا للأمة ينهل من معين علمه أبناؤها في الشرق والغرب، وكانت قولته المشهورة وهو يعاني كربة السجن: «ما يصنع أعدائي بي، أنا سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة».

وهنا نشير إلى أمر مهم يستفاد مما سبق: وهو أن المسلم يمكن أن يحوِّل هذه الكربة إلى أمر إيجابي كما حوَّله أنبياء الله وسله والمصلحون من بعدهم، ذلك أن للسجن عبادة تختلف عن عبادة غيره، ففي السجن يظهر أثر الأعمال القلبية كالتوكل والصبر والإنابة والخشية واللجوء إلى الله، ثم ما انبثق منها مثل قراءة القرآن والذِّكر المستمر والتأمل في النفس وفي أعمالها، والمحاسبة على ما سبق والتخطيط للمستقبل.. ونحو ذلك، ويحذر تمام الحذر من الانشغال بالأشياء السلبية التي تضيع على الإنسان وقته ولا تخرجه من كربته مثل الويل والثبور وترديد «لو لم أفعل» «لو

---

[31]() «جامع الترمذي»، رقم(3505)، ص(799) .

فعلت»؛ فـ«لو» تفتح عمل الشيطان، وكثرة التشكي والتحسر ونحو ذلك.

2 ــ الديــون :

وهي كربة تعتري بعض الناس في حياتهم لظروف معينة يمرون بها، وتشتد هذه الكربة ويزداد تأثيرها عندما يعجز المدين عن سداد دينه، فهو كما قيل: «همٌّ في الليل وذلٌّ في النهار»، وإن تراكم الأموال على الإنسان وكثرة المطالبة بها من قبل الدائنين يحرج المدين ويدخله في دوامة القلق والاضطراب، فلا يستطيع الخروج إلى الناس ومخالطتهم، وقد تؤدي هذه الحال به إلى أن يترك بلده وأهله وأحبته هروبًا من حقوق الناس عليه، أو سعيًا للعمل في مكان آخر ربما يخفف عنه هذا الهم وهذه الأمانة، والدَّين من الأعباء والكربات التي لا تنفك عن الإنسان حتى بعد الموت، فإن هو نجا بنفسه منها في الدنيا فإنه لن تزول كربته في الآخرة، لأنه حق العباد؛ لذا كان الرسول ﷺ لا يصلي على من عليه الدَّين إلا أن يعفو عنه الدائن ويسامحه، لعظم شأنه وحقه.

عن أبي هريرة ا: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل: «هل ترك لدينه فضلًا؟» فإن حدث أنه ترك لدينه وفاء صلى وإلا قال للمسلمين: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينًا فلعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فلورثته»[32].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن»[33].

ومن أجل ذلك كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله منه في دعائه ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن

---

[32]() «صحيح البخاري»، رقم(5371)، ص(959)، و«صحيح مسلم»، رقم(1619)، ص(707).

[33]() «صحيح مسلم»، رقم(1886)، ص(845) .

والبخل، وضَلَع الدين، وغلبة الرجال»[34].

وطريق الخلاص من هذا الكرب في الدنيا والنجاة منه يوم القيامة أن يخلص الإنسان في طاعته وعبادته لله تعالى، ويبادر إلى الأعمال الصالحة والاستغفار والأذكار بشكل دائم، ويتقي الله تعالى في أموره كلها، فهذا هو السبيل الأعظم لإزاحة هذا الهم عن كاهله وإبداله بالفرج واليسر والسداد، يقول الله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ) [الطلاق: 2 – 3]. وقال الله تعالى عن نوح عليه السلام في مخاطبته لقومه: (ی ی ی ی ئج ئح ئم ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ) [نوح: 10 -13].

وعن علي ا أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعني. قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل صِير دينًا أدَّاه الله عنك. قال: «قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك»[35].

ولا يعني هذا ترك الأسباب، بل عملها ضروري وتركها عجز وتخاذل، ولكن للتأكيد على أثر العمل الصالح في حل هذه الكربة.

3 ــ الظلــم :

الظلم ظلمات يوم القيامة كما جاء في الحديث، وهو كربة وبلاء؛ ظهر منذ أن خلق الله الإنسان نتيجة لآفات النفس ورغباتها وأهوائها؛ من الحسد والغرور والكبرياء، وكذلك الطمع والجشع، وحب الذات، وكراهية الغير، وغيرها من الأسباب، والمؤمن إذا أصابه شيء من كربة الظلم بأي شكل من أشكالها من اعتداء أو تعذيب أو أخذ حق وغيره، يجب أن يسارع إلى الله تعالى، الذي حرّم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرمًا، ليرفع عنه هذه الكربة ويبدلها فرجًا وسرورًا، وعزة وانتصارًا،

---

[34]() «صحيح البخاري»، رقم(6369)، ص(1106)، و«صحيح مسلم»، رقم(2706)، ص(1176).

[35]() «جامع الترمذي»، رقم(3563)، ص(812). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

بشرط أن يعاون هذا التضرع إلى الله الاجتهاد في العبادة، والإخلاص في الأعمال، وتصفية النية، وترك المعاصي، لقوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ) [الرعد: 11]، فعندها يقبل الله تعالى دعوته ولا يرده خائبًا، بل سيعجل له بالفرج القريب والظفر الأكيد على عدوه وظالميه، يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فيما يرويه أبو هريرة ا: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[36].

وقال ﷺ عندما بعث معاذًا إلى اليمن: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»[37].

وإن طال الفرج أو تأخر قليلًا فلحكمة من عند الله تعالى لا يعلمها إلا هو، ربما يكون فيه خيرٌ للإنسان وذخرٌ له يوم القيامة، وربما يجعل الله تعالى سعادة هذا الإنسان المبتلى بالظلم في تلك اللحظات التي يظلم فيها ويضطهد؛ لأنه سبحانه وتعالى يلقي عليه رداء السكينة والراحة النفسية، ويزيد من إيمانه ويقينه بأمر الله، لذلك كان بعض السلف الصالح يقولون: لو علمت الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه – أي: من الراحة النفسية– لجالدونا عليه بالسيوف.

فعلى المظلوم المكروب أن يعود إلى ربه ويعمل صالحًا وسينتقم الله تعالى من الظالم ولو بعد حين؛ لأن عقوبات الظلم معجلة في الدنيا قبل الآخرة، والشواهد التاريخية والواقعية أكثر من أن تحصر، فهؤلاء رسل الله وأنبياؤه وقع عليهم ظلم من أقوامهم فانتصر الله لهم: (ﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄ) [العنكبوت: 40]، ووقع على كثير من سلف الأمة ما وقع، كالإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم كثير رحمهم الله، فكانوا أئمة يقتدى بأقوالهم، والذي يجب الحذر منه ألا

---

[36]() «سنن الترمذي»، رقم(1905)، ص(445). ورواه ابن ماجه (3862)، ص(552).

[37]() «صحيح البخاري»، رقم(2448)، ص(395)، و«صحيح مسلم»، رقم(19)، ص(31).

يُرد الظلم بظلم.

4 ــ الزلازل والأعاصير والكوارث الأخرى :

وهي إما عقوبة وعذاب للعباد على تماديهم في العصيان وانتهاك حرمات الله؛ من الظلم والسفور والخمور والزنا، وغيرها من المعاصي. أو ابتلاء لا يعلم مغزاها وعلتها إلا مدبرها وخالقها عز وجل، وهي في الحالتين آيات وعِبر ودروس وعظات للآخرين، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية تشير في معظمها أنها كانت للأمم السابقة نتيجة كفرهم وشركهم وظلمهم، وحربهم لأنبياء الله وقتلهم لهم، يقول الله تعالى: (ڑک ککگگگگڳڳڳڳ) [هود: 102].

ويقول تعالى: (ٺٺٺٿٿٿٿٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄڄ) [النحل: 112].

وإن صلاح الأعمال وإخلاص النيات لله تعالى من أهم ما يدفع عن الناس كربات العقوبات الإلهية الدنيوية من الزلازل والحرائق والأعاصير وغيرها، يقول الله تعالى عن قوم يونس الذين نفعهم إيمانهم الذي دفع عنهم عذاب الله تعالى في الحياة الدنيا: (ٱٻٻٻٻپپپپ ڀڀ ڀٺٺٺٺٿٿ ٿ) [يونس: 98].

ويقول أيضًا: (ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ) [هود: 117].

هذا إضافة إلى الاستكثار من الذكر والاستغفار والتوبة في كل وقت، ليكون الإنسان في مأمن من هذا الذي أصاب تلك الأمم بسبب غفلتهم وحيادهم عن منهج الله تعالى، يقول الباري عز وجل: (ئائەئەئوئو ئۇئۇئۆئۆ ئۈئۈئېئېئى) [الأنفال: 33].

5 ــ الخسائر التجارية :

وما هي إلا جزاء غبن أو غش أو حيلة أو خداع، فربّ ربح تجاري أو كسب مادي يغشي صاحبه وينسيه وسيلة ربحه وكسبه، ولا يدري أنه

استدراج من حيث لا يعلم، فيأخذه الغرور ويغفل عن محارم الله وأوامره فيزداد تحايلًا ومراوغة في عمله، إلى أن يأتي أمر الله، وتجيء الخسارة الكبرى في إحدى ساعات الغفلة، فينسفها الله نسفًا كأن لم تكن، فتكون ضربة قاصمة في بنيان ما اكتسبته يداه من غير حق ولا تقوى، فيدخل هذا التاجر في كربة عظيمة ربما تؤدي به إلى الموت كما يحدث لكثير من الناس، إذا تعرضت مصالحهم لخسائر يصابون بسكتات قلبية فور سماع الخبر، فما أعظم هذه الكربة على الإنسان الذي جعل ماله في قلبه ولم يجعله في يديه، وهو في الوقت نفسه بلاءٌ من الله تعالى كما أخبرنا في كتابه العزيز: (ٹٹٹٹٹٹٹٹڈ...) [البقرة: 155].

والدليل على أن معظم هذه الخسائر تكون نتيجة البعد عن الله في التعامل والكسب: هو قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما ذهب إلى السوق ونادى في التجار: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا إلا مَن اتقى الله وبرَّ وصدق»[38]. والاستثناء دائمًا يكون للقلة من الكثرة، والحديث يبيّن أن تقوى الله ومراقبته في التعامل هو الذي ينجي التاجر من عذاب الله وعقابه، ويبارك له في كسبه وماله، وذلك بتحليل المال في مشروعية وسائل كسبه وتصفيته من الشبهات والآثام لاسيما في هذا العصر الذي انتشر فيه الربا انتشار النار في الهشيم، وكذا إخراج الزكاة والإنفاق في وجوه الخير، يقول الله تبارك وتعالى: (ﮃ ﮄﮅﮆﮇ) [البقرة: 276]، هذه الآية كافية للانتهاء عن محارم الله والتزام حدوده في المعاملات التجارية والمالية. ويقول صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[39]. ويقول أيضًا: «ما نقص مال عبد من صدقة»[40].

فلينتبه المسلم وليقم تعامله المالي على المشروع في موارده

---

[38]() «سنن ابن ماجه»، رقم(2146)، ص(308)، و«سنن الترمذي»، رقم(1210)، ص(295). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[39]() «مسند أحمد»، رقم(22802)، ص(1659)، و«ابن ماجه»، رقم(90، 4022)، ص(15، 580).

[40]() «جامع الترمذي»، رقم(2325)، ص(532). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومصارفه وتعامله وإخراج زكاته، وهنا ينمو ويزداد ويسلم من شره وعواقبه، ويكون نافعًا له في الدنيا بمزيد البركة وبالاستغناء عن الناس وبالطمأنينة القلبية، ويكون نافعًا في الآخرة برفعة الدرجات والحجاب عن النار وتكفير السيئات ودخول الجنان.

6 ــ المــرض :

وهو كربة تصيب الإنسان في جسده، فيعاني آلامًا وأوجاعًا، ويحرم الطعام اللذيذ والشراب الهانئ، ويحرم كثيرًا من متاع الدنيا المباح، وهذه الكربة تجري على الناس كافة، صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، شبابًا وشيوخًا، إلا أن العاقل والمؤمن بالله هو الذي يتعامل مع هذه الكربة التعامل الشرعي من الصبر على هذه الكربة، ويلجأ إلى ربه بالعمل الصالح الدؤوب، والدعاء اللحوح، ليكشف عنه ضره وكربته، ولا ييأس من فضل الله ورحمته، وليكن قدوته في ذلك وأسوته نبي الله أيوب عليه السلام الذي أصيب بكربة المرض بعد أن كان صحيحًا قويًا، فأذهبت عنه هذه الكربة عافيته، وقوته، وطالت مدتها، وازداد فعلها وأثرها في جسده، حتى تركه أهله وأقرباؤه، فنادى ربه بدعاء صادق، يقول الله تعالى عنه: (ٺٻ ٿ ٿٿٹ ٹٹڤڤڤ ڤڦڦڦ ڦڄڄڄڄ ڃڃڃڃچچ) [الأنبياء: 83 – 84].

وكان نبي الله أيوب عليه السلام قبل مرضه من المنفقين في سبيل الله بكافة أوجهه، فقد كان من الأغنياء الكبار في عصره، فابتلاه الله تعالى بأخذ ماله وأملاكه فصبر وشكر، إلى أن ابتلاه بكربة المرض الذي عافاه الله تعالى بعد أن هجره الناس وتركوه وحيدًا فلم يكن سوى اللجوء إلى ربه وخالقه، فكشف الله عنه كربته وأعاد إليه عافيته، وأمواله وأملاكه، بل قيل: أنه صار أغنى مما كان من قبل.

وقد روى أبو بردة عن أبي موسى قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول: «إذا كان العبد يعمل عملًا صالحًا فشغله عنه

مرض أو سفر كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم»([41]).

ولا يستهين الإنسان المريض أو أهله بالإنفاق في سبيل الله، والاستكثار من الصدقات، فإنها تدفع عن الإنسان البلاء، وتشفي الأسقام، وترضي الله تعالى([42]).

⚪ ⚪ ⚪

كانت تلك بعض الكُرُبات التي تصيب الإنسان في نفسه وبدنه وماله وغير ذلك، وفي بعض مراحل حياته، ابتلاء أو عقوبة، وكانت الوسيلة المشتركة لتفريج تلك الكربات هي تقديم بعض الأعمال الصالحة والدعوات الصادقة بين يدي الله عز وجل، فهو القاهر فوق عباده، وهو الغفور الرحيم.

ثم إن المؤمن مطالَب، بقدر ما لديه من وسائل وإمكانات، أن يفرج عن أخيه المؤمن كربته، سواء النفسية أو الحسية؛ لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، ولأن هذا العمل سوف يوضع في رصيده عند الله تعالى، ليفرج ربه سبحانه عنه كربة في يوم لا ناصر له ولا معين، يقول الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»([43]).

وفي هذا المقام يستحب التذكير بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الحافل بأمور عظيمة قد يغفل عنها كثير من الناس، يقول: «أحب

---

[41]() «سنن أبي داود»، رقم(3091)، ص(453)، وهو في «صحيح البخاري»، برقم(2996)، ص(495).

[42]() ينظر للتعامل مع المرض التعامل الشرعي ما كتبته في كتابي «دروس في الحقوق الواجبة على المسلم».

[43]() «صحيح البخاري»، رقم(2442)، ص(394)، و«صحيح مسلم»، رقم(2580)، ص(1129).

الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»([44]).

ونحن نختم هذا الاستعراض عن بعض أنواع المصائب أذكِّر بعدة أمور:

1- أن هذه المصائب هي من السنن الجارية في هذه الحياة التي يقدرها الله تعالى على عباده فيبتليهم بها، مما يستوجب التعامل معها التعامل الشرعي بمعرفة هذه الحقيقة، ثم بالصبر عليها احتسابًا وطلبًا للأجر والثواب، وأعلى منه الرضا بما قضاه الله وقدَّره، ثم الأعلى وهو شكر الله عليها، وهذه درجة عليا، نسأل الله أن يبلِّغنا إياها.

2- أنه لا يعني عندما نقول: إن الإيمان سبب للخروج من كل مأزق أن الهموم والغموم والقلق والحزن لا تصيب المؤمن؛ بل قد تصيبه كما كان ذلك لرسول الله ﷺ، فحزن عندما توفيت زوجته خديجة ك، وعندما مات ابنه إبراهيم، وفي مواقف أخرى، ولكن المؤمن يصبر ويرضى ويحتسب ولا يجزع أو يسخط أو يعمل أعمالًا يظهر فيها اعتراضه على قدر الله، أو يعطل أعماله ووظائفه، ثم إن هذا الهم والحزن سريعًا ما ينكشف للمؤمن إذا عمل بمقتضى هذه الوصايا العظيمة كما سبق.

3- أن من الحقائق المهمة معرفة أنه لابد من بقاء نسبة يسيرة من الهمّ

---

[44]() «صحيح الجامع»، للألباني، رقم(174)، وينظر ما كتبته في رسالة: «خير الناس أنفعهم للناس».

والحزن عند الإنسان وإلا أصبح جمادًا لا تتحرك فيه عاطفة، وإلا فكيف يحيي شعوره تجاه والديه وأولاده وزوجته ومجتمعه ومجتمعات المسلمين إذا لم يكن عنده نسبة تحركه؟ ولكن ينبغي أن تكون هذه النسبة بحدودها الشرعية فلا تتجاوز حدًّا يصل به الأمر إلى أن يقعده عن عمله وسلوكه الحسن وينطوي.. إلخ، وهذا يفيدنا بأن لا نجزع إذا كانت نسبة الهمّ معقولة بقدر ما تتحرك بها العاطفة لفعل الخير والإحسان.

4- **أن الجامع لحل هذه الكرب وغيرها أن يتعامل معها المسلم التعامل الشرعي، وملخصه:**

أ – الإيمان بأنها من الله تعالى، فيورثه هذا الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره.

ب – الصبر عليها وعدم الضجر والتشكي والتسخط، والأعلى من ذلك الرضى بها ثم شكر الله تعالى عليها.

جـ - الإكثار من الأعمال الصالحة، ومنها:

- o الأذكار ومن القرآن الكريم قراءة وحفظًا (تى تيثج ثم ثى) [الرعد: 28]، (ۀہ ہہ ہھھھے ےۓ ۓ) [الإسراء: 82].
- o الصلاة (ۓۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ) [البقرة: 45] «أرحنا بها يا بلال».
- o الإنفاق في وجوه الخير المشروعة المتعددة فـ«ما نقص مال من صدقة» و«الصدقة تطفئ الخطيئة».
- o نفع الآخرين كما سبق في جملة أحاديث.
- o ومن تنفيس كرباتهم ومساعدتهم والعطف عليهم والقيام بحاجاتهم وغيرها.
- o الدعاء والإلحاح على الله فيه (ٺ ٺ ٿ ٿ) [غافر: 60]، (ۆ ۆ ۈ)

[الأعراف: 56].

- o كثرة الاستغفار (ىىييئج ئح) [نوح: 10].
- o عدم اقتراف المعاصي ومن أشدها ظلم العباد فعقوبته معجَّلة.

5 – أن الوقاية خير من العلاج، فيبني المسلم حياته على منهاج الله تعالى، فإذا ما أصيب بمصيبة، وحلَّت عليه كربة فرّج الله عنه «احفظ الله يحفظك» «احفظ الله تجده تجاهك» «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

□◄◄ ►►□

الوقفة السادسة:

آثار العمل الصالح

للعمل الصالح آثار عظيمة وثمار يانعة على نفس صاحبه في الدنيا والآخرة وعلى مجتمعه وأمته، ويمكن إيجازها فيما يلي:

1- العمل الصالح يدخل صاحبه جنة الله والفوز بنعيمها ونعيم القرب من الله سبحانه وتعالى وحبّه ورحمته، فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وتصديق ذلك كتاب الله: (ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ) [السجدة: 17] »** [45].

وقوله تعالى: (ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک) [النساء: 123 – 124].

2- العمل الصالح سبب لمغفرة الذنوب والخطايا، ونقاء صفحة صاحبه عند ربه تبارك وتعالى، يقول الله تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ) [العنكبوت: 7].

3- العمل الصالح يجبّ العمل السيئ ويبدله إلى حسنات، مصداقًا لقول الله عز ثناؤه: (ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ) [الفرقان: 70].

4- العمل الصالح سبب كبير من أسباب القوة والغلبة والنصر على الأعداء، والتمكين في الأرض، قال الله تعالى: (ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ) [الأنبياء: 105].

---

[45]() «صحيح البخاري»، رقم(3244، 4779، 4780، 7498)، و«صحيح مسلم»، رقم(2824)، و«جامع الترمذي»، رقم (3197)، ص(726). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال عز وجل: (ۋۋ ۅۅ ۉۉ ېې ېېىىئائائەئەئوئوئۇئۇئۆئۆئۈئۈئې ئې ئې ئىئى) [فاطر: 10]. وهذه إشارة إلى أن من أسباب العزة والقوة القول الطيب والعمل الصالح.

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»([46]).

5- العمل الصالح سبب للرزق الواسع والعيش الرغيد، فالذي يتقي الله في تعامله مع الناس في أي مجال كان؛ فإن الله تعالى يبارك له في ماله وكسبه، ويفتح عليه أبواب الخير من كل الجهات، قال أبو ذر ا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية: (گگگگں) [الطلاق: 2] ثم قال: «يا أباذر! لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم»([47]).

ويقول الله تعالى: (ٱٻٻٻپپپپڀڀ ٺٺٺ) [الأعراف: 96].

6- العمل الصالح يبعد عن الإنسان شبح الخوف والحزن والقلق وجميع الأمراض النفسية ومعضلاتها، ويدخل في النفس السكينة والراحة، يقول الله تعالى: (ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح) [الأحقاف: 13 – 14].

7- العمل الصالح سبب في حسن خاتمة صاحبه على الطاعة والعبادة لله تعالى، فلا يزيغه عن دين الله زيغ الشيطان ولا همزه، وإنما يثبته الله تعالى إلى آخر نفس من روحه، ليلقى ربه عز وجل بأحسن حاله وأعماله، يقول أنس ا: «لا عليكم أن لا تعجبوا لعمل رجل حتى تعلموا ما يختم له به، فقد يعمل الرجل برهة من دهره أو زمانًا من عمره عملًا سيئًا لو مات عليه مات على شر فيتحول إلى عامل صالح فيختم له به، وقد يعمل العبد برهة من دهره أو زمانًا من عمره عملًا صالحًا لو مات عليه مات على خير فيتحول إلى عمل سيئ فيختم له

---

[46]() «سنن النسائي»، رقم(3180)، ص(439)، وأصله في «صحيح البخاري»، رقم(2896)، بلفظ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»، ص(479).

[47]() «مسند أحمد»، رقم(21884)، ص(1589) . ورواه ابن ماجه (4220)، ص(614).

به». قال: وقد رفعه حُميد مرة ثم كف عنه [48].

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله قبل موته فسأله رجل من القوم: ما استعمله؟ قال: يهديه الله عز وجل إلى العمل الصالح قبل موته ثم يقبضه على ذلك»[49].

□◀◀ ▶▶□

48() «مسند أحمد»، رقم(13366)، ص(937، 938).
49() «مسند أحمد»، رقم(17349)، ص(1240).

الوقفة السابعة:

ضرورة العمل الصالح لنجاح الدعوة

إن العمل الصالح بمفهومه العام، والذي يشمل جميع الأعمال التي يحبها الله ورسوله ﷺ، هو من أهم الأسباب التي تدفع مسيرة الدعوة إلى الله نحو الأمام بصورة ناجحة، كما أرادها الله تعالى، من إخلاص العبودية له جل شأنه، وهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وعمارة الأرض على أركان الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، وإمكانية الوقوف في وجه الباطل وأهله؛ لقوله تعالى: (ﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂ ﮃﮄ ﮅﮆﮇ) [الأنبياء: 105].

فإذا كان العمل الصالح قائمًا على أساس الإخلاص لله تعالى، فإن الله سيبارك في هذا العمل عاجلًا أم آجلًا، وليس من الضروري أن تكون ثمراته الدعوية قريبة وسريعة، فإن رسول الأمة عليه الصلاة والسلام مكث يدعو الناس ثلاثة وعشرين عامًا، وهو يقدم بين يدي ربه الأعمال الصالحة؛ من الفروض الخمسة وغيرها من النوافل، وإصلاح ذات البين، والجهاد في سبيل الله، حيث كانت كل حركاته وسكناته عملًا صالحًا، وهو ما روته أم المؤمنين عائشة ك حينما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن».

وليس بعزيز على الله تعالى أن يجعل الناس كلهم أمة واحدة مسلمة؛ لقوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖﭗﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝﭞﭟﭠ) [هود: 118 – 119]، ولكنه تعالى شأنه أراد لحكمة هو يعلمها أن ينوط مصير الدعوة وقوة انتشارها بالأعمال الصالحة التي يقدمها أصحابها بين يديه جلّ وعلا، وهي سبب الفوز بالحياة الإسلامية الرغيدة في الدنيا، وسبب الفوز بالجنان

والقرب من الله تعالى في الآخرة؛ لقوله جل ثناؤه: (ڈژژڑڑکککگگ گ) [النحل: 97].

وقوله: (ڇچچڍڍڌڌڎڎڈڈژژ) [النساء: 124].

وميادين العمل الصالح التي تسهم بشكل مباشر في نشر الدعوة ونجاحها لا يمكن حصرها، فهي كل الأمكنة التي يتواجد فيها الناس، ولا يشترط لنجاح هذه الدعوة أن يكون صاحب هذا العمل الصالح من العلماء أو الفقهاء، فالتاجر يدعو إلى الله تعالى بعمله الصالح في متجره، وذلك بالصدق والأمانة، والكلام الطيب، وعدم غش الناس، ثم تبرعه بما تجود به نفسه لنشر الدعوة، وكذلك الطبيب في عيادته عندما يخلص في عمله، ويتعاطف مع المريض، ولا يرهقه بالأدوية والتحاليل غير الضرورية، وبإعانته باللجوء إلى الله في معالجته لمرضه، كذلك الموظف في مكتبه يستطيع أن يساهم في الدعوة عندما يصلح عمله في التعامل مع المراجعين.

وكذلك المرأة تساهم في نشر الدعوة وتقوية أركانها في المجتمع النسائي، عندما تكون قدوة بعملها الصالح وتقدم لمن حولها من النساء المساعدة وتعينهن على قضاء حوائجهن، سواء في الحي مع جاراتها، أو في مكان العمل أو في المستشفيات أو الأسواق[50].

وغيرها من الميادين التي يمكن للمسلم أن يكون داعية فيها بعمله الصالح؛ لأن قلوب الناس جبلت على حب من أحسن إليه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى مجموعة من الأعمال الصالحة التي تمس وتحسس واقع الناس وشؤونهم، التي تسهم بقوة في نجاح الدعوة وهداية الناس؛ لأنها تمس واقعهم وتحسس رغباتهم وشؤونهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربه، أو تقضي عنه دينًا، أو

---

[50]() ينظر في أمر النساء كتابي: «مسؤولية المرأة المسلمة في الواقع المعاصر».

تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»([51]).

□◄◄ ►►□

[51]() «صحيح الجامع» للألباني، رقم (174).

الوقفة الثامنة:

أثر العمل الصالح على نفسية الفرد

سبق في الوقفة السادسة بعض الآثار الإيجابية العظيمة للأعمال الصالحة، ومما ذكر هناك أن للأعمال الصالحة آثارًا على نفسية العامل، وهنا نبسط القول في ذلك لأهميته، فمما لا شك فيه أن هناك ترابطًا وثيقًا بين سلوك الإنسان ونفسيته، فذلك الفرد الذي يعمل أعمالًا مشينة، ويسلك مسالك شاذة؛ تجد أثرها السريع على تقلب نفسيته، واضطرابها، ومن ثم القلق والاكتئاب، فينعكس هذا على تعامله مع الآخرين وعلاقته معهم، فتكون علاقة غير متزنة، وبدون ضابط يضبطها.. ومن ثمّ يصل إلى العزلة شيئًا فشيئًا، فتتغلب عليه الوساوس والهموم، والشك في الناس ثم في أهل بيته، فيحيا حياة مضطربة ويموت كذلك.

وبالمقابل فإن العمل الصالح يورث الهدوء والسكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي، حتى ولو أصابه من أقدار الله تعالى في هذه الدنيا ما يحزنه، فبعمله الصالح يتخفف الحزن بل قد يتحول إلى مكاسب أخرى لم تكن لتحصل له لولا هذا العمل الصالح.

خذ مثلًا: قوله تعالى: (بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى) [الرعد: 28] فذكر الله عمل صالح، كيف يورث هذه الطمأنينة التي يسعى إليها العالم كله، ويسخر لها جهوده وإمكانياته؛ بل قد يضحي بالأموال الطائلة والجهود الجبارة، وأشد من ذلك أن يخوض حروبًا طاحنة بحثًا عن هذه الطمأنينة.. فلا يمكن أن يجدها إلا بالعمل الصالح.

ومثال آخر عملي في حياة رسول الله ﷺ: فقد كان عندما تشتد عليه الأمور وتتوالى الخطوب يفزع إلى الصلاة، ويقول لبلال: **«أرحنا بها يا بلال»**، ومعلوم أن الراحة تطلب بعد التعب، والصلاة عمل، فدل

على أن هذا العمل وإن كان بعد عمل آخر أنه سبب للراحة بعده، ولو لم يكن عملًا صالحًا لما كان كذلك، ويؤكد هذا قوله تعالى: (ۓۓڭ) [البقرة: 45].

وفي الواقع المحسوس المشاهد تجد هذا واضحًا، فلك أن تقلب طرفك في المرضى مثلًا أو في عامة المبتلين؛ فستجد فروقًا شاسعة في تقبل المرض، وفي التعامل معه، وفي نفسية المريض، مع أن المرض واحد، والسبب نظرة كل مريض في التعامل مع مرضه، فمن نظر النظر الشرعي واستعان بالله وصبر وأكثر من الأعمال الصالحة، وكان كذلك قبل مرضه؛ مُنح الهدوء والاستقرار، فكان هذا الهدوء سببًا –بإذن الله تعالى– لشفائه وعافيته وعظم أجره وعلو درجته، وإن لم يكن كذلك انزعج وتأفف واضطرب فكان هذا الاضطراب سببًا لزيادة المرض وطول فترته مع الخسارة الأخروية.

هذا هو أثر العمل الصالح على نفسية الفرد، فلنكثر من الأعمال الصالحة ليعظم الأثر ويزداد الأجر.

□◄◄ ►►□

الوقفة التاسعة:

التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة

التوسل: هو الطلب.

والأصل في التوسل إلى الله تعالى المشروعية، بل إنه مندوب إليه وعبادة يتقرب العبد بها إلى الله تعالى، وقد أخبر الله تعالى أنه يجيب دعوة الداع إذا دعاه: (ئە ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی) [البقرة: 186]، بل أمر ربنا عز وجل بدعائه: (ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ) [غافر: 60]، وقال سبحانه: (ہ ہ ھ ھ) [الأعراف: 55].

ولا غنى لأحد من الخلق عن الخالق جل وعلا طرفة عين، فهو محتاج إليه في كل أحواله وظروفه.

وهؤلاء الثلاثة في هذا الحديث توسلوا إلى الله جل وعلا بأرجى أعمالهم الصالحة، والجامع المشترك بينهم: أن نيَّتهم خالصة، وعملهم صالح وإن تنوَّع واختلف. ولذا استجاب الله دعاءهم ففرّج عنهم.

وهنا نفصل القول في التوسل؛ إذ إن منه مشروعًا ومذمومًا.

فالتوسل قسمان:

مشروع: وهو التوسل إلى الله تعالى أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته، كأن يقول المتوسل: يا الله، يا رب، يا حيّ يا قيُّوم، يا أرحم الراحمين، يا رزاق، ثم يذكر حاجته.

أو يتوسل إلى الله تعالى بعمله الصالح فيقول مثل ما قال هؤلاء الثلاثة، فيذكر عمله الصالح ويرجو إجابة دعائه.

أما الممنوع: فهو أن يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة من خلقه، كأن يقول: يا فلان! ارزقني واشفني، وهذا ميت في قبره، وسواء كان الشافع إنسانًا أو حيوانًا أو شجرًا أو حجرًا أو غيرها.

بقي أن نشير إلى أن الإنسان إذا كان صالحًا ويرجى إجابة دعائه فيقول له طالب الشفاعة: يا فلان! ادع لي، أو لا تنسني من صالح دعائك، ونحو ذلك، فهذا لا بأس به، مع العلم أن المسلم ينبغي له أن يجتهد في دعائه وصلته بربه دون التعلق بالآخرين مهما كانوا، فيعمل صالحًا ويرجو رحمة ربه، والله سبحانه أكرم الأكرمين فيجيب دعاءه وسؤاله.

□ ◀◀ ▶▶ □

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأُصلي وأُسلم على خير البريات، وعلى آله وأصحابه وزوجاته الطاهرات، والتابعين ومن تبعهم بالإيمان والأعمال الصالحات، أما بعد:

فقد كان هذا البحث رحلة المؤمن مع عمله الصالح في الحياة الدنيا والآخرة، وأثره في واقعه المليء بالمتاعب والأشواك، وتفضيل الله تعالى له على غيره بهذا العمل، وإخراجه من هذه المتاعب بمثابرته ومتابعته على تقديم هذا العمل بين يدي بارئه، وإن قلّ حجمه أو قصرت أوقاته، وكذلك إخراجه به من كروب الآخرة التي هي أدهى وأمرّ، والفوز بالجنة ونعيمها.

ولعلَّ القارئ الكريم يخرج بعد قراءته معالم هذه الرحلة بثمار يانعة ونافعة في حياته النفسية والسلوكية، وفي تعامله مع غيره من إخوانه وأبناء مجتمعه، فيؤدي ذلك إلى التقليل من بعض الآفات النفسية التي يرزح تحت وطأتها كثير من شباب المسلمين وبناتهم، وكذلك يخفف من حدة الآفات المادية الأخرى التي تصيب الناس في مسيرة حياتهم الدنيوية، أو الخروج منها بسهولة ويسر، بفضل الله تعالى ثم بفضل ما يقدمونه من أعمال صالحة وخالصة لوجه الله تعالى، وهنا أختم هذه الكلمات بالدعوة الصادقة لكل مسلم ومسلمة، وكل داع وداعية، وكل مكروب ومبتلى، أن يراجع نفسه لعمل برنامجه اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي في التعامل مع الصالحات ليتحقق له ما يرجوه، ويلقى الله تعالى بهذه الأعمال الجليلة، فيجمع بين حسنات الدنيا والآخرة.

أسأل الله تعالى أن يحقق للجميع آمالهم، ويرزقنا حسن القصد والعمل إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
أ. د. فالح
بن محمد بن فـالح الصغيّر
المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها

faleh@alssunnah.com

□◀◀ ▶▶□

ثبت المراجع

القرآن الكريم.

1- جامع الترمذي، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض، 1420هـ = 1999م.

2- سنن ابن ماجه، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض، 1420هـ = 1999م.

3- **سنن أبي داود،** إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض، 1420هـ = 1999م.

4- **سنن النسائي،** إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط1، دار السلام، الرياض، 1420هـ = 1999م.

5- **السيرة النبوية** لابن هشام، علق عليها وخرج أحاديثها وصنع فهارسها عمر عبد السلام تدمري. ط1، دار الريان للتراث، القاهرة 1408هـ = 1998م.

6- **الشكر لله عز وجل،** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا؛ حققه وعلق عليه ياسين محمد السوّاس؛ راجعه وخرج أحاديثه عبد القادر أرناؤوط. ط2، دار ابن كثير، دمشق، بيروت 1407هـ = 1987م.

7- **صحيح البخاري،** ط2، دار السلام، الرياض 1419هـ=1999م.

8- **صحيح الجامع،** للألباني، المكتب الإسلامي.

9- **صحيح مسلم،** ط1، دار السلام، الرياض، 1419هـ = 1998م.

10- **كتاب الفرج بعد الشدة،** للإمام الحافظ أبي عبد الله بن أبي الدنيا القرشي؛ خرجه وعلق عليه أبو حذيفة عبيد الله بن عالية، ط2، دار الريان للتراث، مصر، 1408هـ = 1988م.

11- **دع القلق واستعن بالله،** محيي الدين عبد الواحد، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ، ص22 – 23.

12- **موسوعة علم النفس**. د. أسعد رزق، مراجعة عبد الله الدايم، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

□◄◄ ►►□

فهرس المحتويات

الموضوع
الصفحة

المقدمة 5
نص الحديث 7
تخريج الحديث 9
وقفة مع كلمات الحديث 10
الوقفة الأولى: في أهمية الحديث 11
الوقفة الثانية: العمل الصالح وتفريج الكروب 14
الوقفة الثالثة: تفصيل الأعمال الصالحة في الحديث 19
الوقفة الرابعة: الإخلاص في أداء الأعمال الصالحة وأثره 27
الوقفة الخامسة: أثر العمل الصالح في تفريج الكروب 30
الوقفة السادسة: آثار العمل الصالح 55
الوقفة السابعة: ضرورة العمل الصالح لنجاح الدعوة 58
الوقفة الثامنة: أثر العمل الصالح على نفسية الفرد 61

الوقفة التاسعة: التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة
63
الخاتمة
65
ثبت المراجع
67
فهرس المحتويات
69

□◀◀ ▶▶□